شرح كتاب (الرد على الجهمية) لعثمان بن سعيد الدارمي -رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ.د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٦)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلننظر في أدلة أهل السنة والجماعة كتاباً وسنةً وإجماعاً.

[قال أبو سعيد رحمه الله: قال الله تعالى: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))[القيامة:٢٢-٢٣]، وقال: ((كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ))[المطففين:١٥-١٧].

ففي هذا دليل أنَّ الكفار كلهم محجوبون عن النظر إلى الرحمن عزَّ وعلا].

يعني: اكتفى رحمه الله بذكر دليلين من القرآن العظيم:

أحدهما: قول الله تعالى: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))[القيامة:٢٢-٢٣]، أما ((نَاضِرَةٌ)) الأولى فهي من النضرة، وهي: البهاء والرونق والحسن والجمال، وأما ((نَاظِرَةٌ)) الثانية فهي من النظر، و(نظر) إذا تعدَّت بـــ(إلى)، فإنَّها تدلُّ على المعاينة بالأبصار، وأما إذا تعدَّت بـــ(في) فإنَّه يراد بها التفكر والاعتبار، (نظر) إذا تعدَّت بـــ(إلى) فإنَّها لا تحتمل إلا المعاينة بالأبصار، (نظرت إلى القمر، نظرت إلى محمد)، نظرت إلى شيء فإنَّه يدلُّ على النظر بالأبصار، وأما إذا تعدَّت بـــ(في) فإنَّها تدلُّ على التفكر والاعتبار، كقولك: (نظرت في المسألة، نظرت في القضية، نظرت في الأمر)، وهاهنا قد تعدَّت بـــ(إلى)، فدلَّت على النظر بالأبصار، فدلَّ ذلك على أنَّ تلك الوجوه النضرة نظرت إلى خالقها وبارئها، بل إنَّها إنَّما اكتسبت هذه النضرة بسبب النظر، يعني: النظر أثمر نضرة، كما قال ابن القيم رحمه الله:

فيا نظرةً أهدت إلى الوجه نضرةً أمن بعدها يسلو المحبُّ المتيَّمُ

يعني: النظرة إلى وجه الرب سبحانه وتعالى كست الوجه نضارة وبهاءً ورونقاً.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ - حفظه الله -

ومن أدلة الكتاب هذا الدليل المستنبط من قوله: ((كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ))[المطففين:١٥-١٧]، إنَّما يتم الاستدلال بهذه الآية بالجمع بينها وبين قوله سبحانه وتعالى في شأن المؤمنين: ((عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ))[المطففين:٢٣]، فهؤلاء حُجبوا في السخط، وأولئك نظروا في الرضا.

((كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ))[المطففين:١٥]، من هؤلاء؟ هؤلاء الفجار عن ربهم لمحجوبون، ((لَمَحْجُوبُونَ)) عن ماذا؟ ((عَنْ رَبِّهِمْ))، يعني: عن النظر إليه، ولا يُعبَّر بهذا التعبير إلا عند الاحتجاب عن الرؤية، كما يقال مثلاً: احتجب السلطان عن الرعية، أو احتجب الأمير عن الخروج إلى الناس، لا يكون هذا الاحتجاب إلا عند امتناع النظر إليه، ويعزز هذا أنَّه لما ذكر حال الأبرار بعد ذلك قال: ((عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ))[المطففين:٢٣]، فاستنبط الإمام الشافعي رحمه الله وغيره منها قوله: لما حُجب أولئك في السخط نظر هؤلاء في الرضا. وثم أدلة قرآنية أخرى، منها قول الله تعالى: ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ))[يونس:٢٦]، فسَّرها النبي صلى الله عليه وسلم - أي الزيادة - بقوله: {النظر إلى وجه الله الكريم}، وكذلك أيضاً قوله: ((لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ))[ق:٣٥]، أيضاً ورد تفسير المزيد بأنَّه النظر إلى وجه الله الكريم.

هذه أدلة قرآنية، ثم بعد ذلك شرع في ذكر الأدلة الحديثية، فقال:

[قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أيما والد جحد ولده احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين}.

حدَّثناه يحيى الحماني، (قال): حدَّثنا عبد العزيز، يعني: الدراوردي، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن يونس، سمع المقبري، يحدِّث قال: حدَّثني أبو هريرة، أنَّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقوله].

عندي حسَّنه، ماذا عندك؟

....

قال: ضعيف.

[قال أبو سعيد: ففي هذا الحديث دليل أنَّه إذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {سترون ربكم عز وجل كما ترون الشمس والقمر}، فلم يدع لمتأول فيه مقالاً].

صحيح، هذا لفظ صريح، وهو الذي تواترت فيه الأحاديث {إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر}، وفي بعضها: {كما ترون الشمس ليس دونها كذا وكذا}، وسيأتي ذكرها ففيها تصريح برؤية الرب سبحانه وتعالى.

فإن قائل: ما بال الكاف؟ هل الكاف هذه للتشبيه؟ يقال: نعم الكاف للتشبيه، لكن هذا التشبيه ليس تشبيهاً للمرئي بالمرئي، بل تشبيه للرؤية بالرؤية، فالرؤية صادرة من المخلوق، وأما المرئي فليس كالمرئي، فليس الله سبحانه وتعالى كالقمر أو كالشمس أو نحو ذلك، وإنَّما التشبيه وقع في الرؤية لا في المرئي، فالله تعالى ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))[الشورى:١١].

[حدَّثنا أحمد بن يونس، (قال): حدَّثنا أبو شهاب وهو الحناط، (قال): أخبرني إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير، قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع رأسه إلى السماء ليلة البدر، فنظر إلى القمر، فقال: {أما إنَّكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا}].

الله أكبر، ولفظة (تضامون) ضُبطت بألفاظ متعددة، أشهرها (تُضَامُون) و(تَضَامُّون)، (تُضَامُون) من الضيم، أي: لا يلحقكم ضيم، كما يلحق الناس ضيمٌ عند نظرهم إلى البدر، فإنَّه في الفضاء، والمكان متسع. و(تَضَامُّون) يعني: من الانضمام، يعني: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون، وذلك للسعة، فكلا هذين اللفظين له وجاهة، وهناك ضبط غير ذلك أيضاً.

[حدَّثنا بنحوه ابن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال علي بن المديني: هي عندنا صلاة العصر، وصلاة الصبح، إن شاء الله تعالى.

(قال): حدَّثنا به ستة عن إسماعيل: سفيان، وهشيم، ووكيع، والمعتمر، وغيرهم. قال علي: لا يكون الإسناد أجود من ذا.

حدَّثنا محمد بن عبد الله الخزاعي أبو عبد الله البصري، وأبو سلمة، واللفظ لفظ محمد قالا: حدَّثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ))[يونس:٢٦] قال: {إذا دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه}، قال: {فيقال: ما هو؟ ألم يبيِّض وجوهنا، ويثقِّل موازيننا، وأدخلنا الجنة، وأجارنا من النار؟} قال: {فيكشف الحجاب، فيتجلى لهم تبارك وتعالى}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {والذي نفسي بيده، ما أعطاهم شيئاً هو أحب إليهم ولا أقر لأعينهم من النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى}].

ما شاء الله، نسأل الله من واسع فضله، وأن يبلِّغنا وإيَّاكم هذا النعيم، هذا أعلى نعيم أهل الجنة، وهم حينما قيل لهم ذلك لعله غاب عنهم هذا الأمر، ولذلك قالوا: {ألم يبيِّض وجوهنا، ويثقِّل موازيننا، وأدخلنا الجنة}، لأنَّهم حُدِّثوا عن موعد يريد أن ينجزهموه، فذكروا أو سبق إلى وهلهم الموعود من الثواب الحسي والمعنوي، ولكن الله سبحانه وتعالى أنعم عليهم بالنظر إلى وجهه الكريم، فوجدوا لذةً لا يعادلها لذة، فهو أحبُّ إليهم وأقرُّ لأعينهم من كلِّ شيء.

[حدَّثنا موسى بن إسماعيل، (قال): حدَّثنا حماد يعني ابن سلمة، (قال): حدَّثنا يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن أبي رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله، أكلنا يرى ربه يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يا أبا رزين، أليس كلكم يرى القمر مخلياً به؟} قلت: بلى، قال: {فالله أعظم}].

هذا الحديث قد ضعَّفه المحشي عندي، وبعض العلماء يحسِّنه، ماذا عندك؟

....

يقول: ضعيف، لكن ابن القيم رحمه الله إذا تحدَّث عنه جوَّده.

[حدَّثنا نعيم بن حماد، (قال): حدَّثنا إبراهيم وهو ابن سعد، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال الناس: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟} قالوا: لا، قال: {فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟} قالوا: لا، قال: {فكذلك ترون ربكم يوم القيامة، إنَّ الله يجمع الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها}، وساق الحديث إلى قوله: {هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه}، قال عطاء بن يزيد في آخر الحديث: قال أبو سعيد يعني الخدري، وهو مع أبي هريرة رضي الله عنهما حين حدَّث بهذا الحديث، لا يرد عليه شيئاً من حديثه، حتى إذا قال: {ذلك له ومثله معه}، قال أبو سعيد: أشهد لحفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ذلك له وعشرة أمثاله}].

هذا الحديث أصله في الصحيح في البخاري، وهو حديث طويل يُعرف بحديث الشفاعة، وفيه التصريح برؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة، وفيه التصريح بلفظ الصورة، وقوله هنا: {فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون}، وهذه المعرفة إما أنَّها ناشئة عما أعلمهم الله تعالى به في الحياة الدنيا من أسمائه وصفاته، وإما لكونهم

رأوه أول الأمر على الصورة، ثم جاءهم في صورة مخالفة، ثم جاءهم بعد ذلك في الصورة التي يعرفون، وذكر هذا الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، وأما قول أبي سعيد: أشهد لحفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني: كان يقرُّ أبا هريرة على تحديثه بهذا الحديث، وزاد عليه: {ذلك له وعشرة أمثاله}.

[حدَّثنا نعيم بن حماد، (قال): حدَّثنا ابن المبارك، (قال): حدَّثنا معمر، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي هريرة، وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنحوه.

وحدَّثنا عبد الله بن صالح المصري، (قال): حدَّثني الليث، (قال): حدَّثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هل تضارون في الشمس في الظهيرة صحواً ليس فيها سحاب؟} قال: قلنا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟} قال: فقلنا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فما تضارون في رؤيته يوم القيامة إلا كهيئة ما تضارون في رؤية أحدهما}].

وهم لا يضارون في رؤية أيٍّ منهما كما نفهم ذلك، وأقرَّهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فصارت النتيجة أنَّهم لا يضارون في رؤية الله سبحانه وتعالى، كما لا يضارون في رؤية القمر بدراً، ولا في رؤية الشمس في الظهيرة، فدلَّ ذلك على أنَّ المؤمنين يتمتعون برؤية ربهم عز وجل على أكمل الأحوال، لا يلحقهم ضيم، ولا تضام، بل يكون ذلك من أكمل نعيمهم، وهذا في غاية التحقيق لإثبات هذه الصفة، ولإثبات هذا الحال للمؤمنين يوم القيامة، فلا يعارض مثل هذه الأحاديث إلا من كان قلبه – والعياذ بالله – مليء بالشبهات، فيجرؤ على ردِّ الأحاديث الصحيحة لهذه الشبهات الفاسدة، فلا يقدر الله حق قدره ولا يعظم نبيه صلى الله عليه وسلم من ردَّ مثل هذه الأحاديث، هذه أحاديث حاسمة فاصلة في إثبات الرؤية، ولكن قد شرق بها هؤلاء المبتدعة، وردوها، ولم يرفعوا بها رأساً، ومن ردَّ مثل هذا حريٌّ بأن يُحرم مما وعد الله تعالى به المؤمنين من الرؤية، فهم قد حرموا أنفسهم الطمع في مثل هذا الثواب، بينما أهل الإيمان يقرون بها عيناً، ويطيبون بها نفساً، ويرجون موعود الله تعالى بها.

[حدَّثنا موسى بن إسماعيل، (قال): حدَّثنا حماد يعني ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، أنَّه كان عند عمر بن عبد العزيز، فأتاه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، فقضى له حوائجه، فلما خرج رجع، فقال عمر: أذكر الشيخ؟ فقال له عمر: ما ردك؟ ألم تقض حوائجك؟ قال: بلى، ولكن ذكرت حديثاً حدَّثناه أبو موسى الأشعري، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {يجمع الله الأمم يوم القيامة في

صعيد واحد، فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه مثَّل لكلِّ قوم ما كانوا يعبدون، فيدرجونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا، ونحن في مكان رفيع، فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المؤمنون. فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا، فيقول: من أين تعلمون أنَّه ربكم؟ فيقولون: حدَّثتنا الرسل، أو جاءتنا، أو ما أشبه معناه، فيقول: هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقول: كيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعم، إنَّه لا عدل له، فيتجلى لنا ضاحكاً، ثم يقول تبارك وتعالى: أبشروا معشر المسلمين، فإنَّه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً، أو نصرانياً}، فقال عمر لأبي بردة: والله لقد سمعت أبا موسى يحدِّث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم].

هذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف جداً، قال: في سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وغيره، ولكن معناه صحيح قد دلَّت عليه الأحاديث الأخر، فجمعهم في صعيد واحد، هذا أمر مقطوع به، وقوله: {فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه}، الصدع هو: تمييز بعضهم عن بعض، تمييز أهل الإيمان عن أهل الكفر، {مثَّل لكلِّ قوم ما كانوا يعبدون}، كما جاء ذلك في حديث أبي سعيد وأبي هريرة في البخاري، فحينئذ يدرجونهم، يعني: يستدرجونهم، {حتى يقحموهم النار}، كما قال ربنا عز وجل عن فرعون: ((فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ))[هود:٩٨]، فتتبع كلُّ أمة ما كانت تعبدها من الطواغيت، من كان يعبد الشمس، من كان يعبد القمر، من كان الصنم، فإنَّهم يستزلونهم ويستدرجونهم حتى يلقوهم في النار.

قال: {ثم يأتينا ربنا، ونحن في مكان رفيع}، قد دلَّت الأحاديث الأخر على إتيان الرب سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في عرصات القيامة أكثر من مرة على غير صورة، حتى يعرفوا ربهم، فلهذا قال: {من أنتم أنَّه ربكم؟ فيقولون: حدَّثتنا الرسل}، وهذا دليل على أنَّ أصل العلم بالله عز وجل توقيفي، وهو ما حدَّثت به الرسل، إذ لا سبيل للعلم بالله تعالى إلا عن طريق ما حدَّثت به الرسل، أو أخبر الرب عن نفسه في وحيه.

وتأمل قول المؤمنين: {إنَّه لا عدل له}، هذا أعظم علامة أنَّ الله تعالى لا عدل له، يعني: ليس كمثله شيء سبحانه وبحمده، فمن رآه علم أنَّه ليس كمثله شيء، وأنَّه لا يمكن أن يشاركه أحد في وصفه، وكذلك الجملة الأخيرة قد دلَّت عليها أحاديث صحاح، {فإنَّه ليس منكم أحد إلا قد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً}، ففداء كل مسلم من مقعده في النار يهودي أو نصراني، كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة.

ثم قال: **[حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي].**

من هو إسحاق بن إبراهيم الحنظلي؟ اسمه الأشهر ابن راهوية.

[حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، (قال): حدَّثنا النضر بن شميل، (قال): حدَّثنا أبو نعامة العدوي، (قال): حدَّثنا أبو هنيدة البراء بن نوفل، عن والان العدوي، عن حذيفة، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديث الشفاعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. وساق إسحاق الحديث إلى قوله: {فيخرُّ ساجداً قدر جمعة، فيقول الله تبارك وتعالى: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع. فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه خرَّ ساجداً قدر جمعة أخرى}].

قال عندي: هذا حديث حسن. ماذا عندك؟

....

حسَّنه أيضاً، الحمد لله، الشاهد منه قوله: {نظر إلى ربه}، فـ(نظر) تعدَّت بـ(إلى)، فلهذا من كمال تعظيمه لربه أن يخرَّ ساجداً مرةً إثر مرة، وكل سجدة قدر جمعة، يعني: أسبوع، ويُفتح على النبي صلى الله عليه وسلم بمحامد عظيمة يفتحها الله عليه في ذلك المقام، وهو في الدنيا لا يحسنها، لكن الله تعالى يفتح على نبيه بمحامد، وليس شخص أحبَّ إليه المدحة من الله سبحانه، فالله يحبُّ أن يُحمد، ولهذا ينبغي أن يكون في مناجاة العبد لربه حمد محض، لا يقترن به سؤال، إذ أنَّ الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، فدعاء المسألة هو المشهور، اللهم ارزقني، اللهم انفعني، اللهم أعطني، اللهم اغفر لي، إلى آخره، ودعاء العبادة هو تملق الرب سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: {اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت فاطر السموات والأرض ومن فيهن}، ربنا يحب المدحة والحمد، فعلى المؤمن أن يجعل نصيباً من مناجاته لربه بمثل ذلك، {سبوح قدوس رب الملائكة والروح}، ونحو هذا من المأثور.

[حدَّثنا حيوة بن شريح الحمصي، (قال): حدَّثنا بقية، (قال): حدَّثنا بحير وهو ابن سعد، عن خالد هو ابن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية، أنَّه حدَّثهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {إنَّكم لن تروا ربكم حتى تموتوا}].

ولكن هذا اللفظ قد ثبت من غير هذا الطريق كما أشرنا آنفاً أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الدجال وما يُجري الله تعالى على يديه من المخاريق العجيبة، حتى يُفتن الناس ويغتروا به، ويظنوا صدق دعواه من أنَّه الله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: {إنَّ ربكم ليس بأعور}، وقال أيضاً: {إنَّكم لن تروا ربكم حتى تموتوا}، ففي هذا إبطال لكلِّ من ادَّعى أنَّه رأى الله سبحانه وتعالى، وهو - كما قلت لكم - أمر يقع من بعض الصوفية الذين تتلاعب بهم الشياطين وتتمثَّل لهم، فيظنوا أنَّهم قد رأوا الله تعالى، فلا يمكن لحي أن يرى الله سبحانه

وتعالى يقظة، أما رؤيته سبحانه وتعالى في المنام فهذا ممكن، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قال في الحديث الصحيح حديث اختصام الملأ الأعلى: {رأيت ربي في أحسن صورة}، والمقصود أنَّ الرائي يرى صورة حسنة بقدر إيمانه، فمن كان إيمانه أكمل رأى صورة أحسن، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: {رأيت ربي في أحسن}، على صيغة أفعل تفضيل، فهذه الصورة ليست هي المطابقة للواقع، لكنها صورة حسنة يتفاوت حسنها بحسب إيمان الإنسان، فإن كان في إيمانه ثلم نقص من تلك الصورة التي يراها بقدر ما ينقص إيمانه، أما الله تعالى سبحانه وبحمده فإنَّه لا يُرى على الصورة التي يعرفها عباده المؤمنون التي هو عليها إلا يوم القيامة، وجميع الأحاديث التي فيها ذكر أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه، كلها موضوعة باطلة، قد نبَّه عليها أهل الإسلام والمحدثون، وممن نبَّه عليها كثيراً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الوصية الكبرى وغيرها، كالأحاديث التي تروى أنَّه ينزل يوم عرفة على جمل أورق يعانق الركبان ويسلِّم على المشاة، ونحو ذلك، أو أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رآه في بعض سكك المدينة على صفة شاب كذا كذا، أو نحو هذا، فإنَّ هذا مما أجمع أهل السنة على بطلانه، ومن مخاريق الشيعة الروافض أنَّهم إذا أرادوا الطعن في أهل السنة زعموا ولفَّقوا التُّهم أنَّ أهل السنة والمحدِّثين وابن تيمية يعتقدون ذلك، ثم يقرؤون شيئاً من كتبهم، يقول: انظروا قال ابن تيمية كذا وكذا، وهو إنَّما ساقها في مساق الرد والإبطال والتكذيب، لكن القول أهل كذب وأهواء، فيلبِّسون على العامة ويقول: انظروا هذا كتاب كذا وكذا قد ذكر فيه ابن تيمية كذا وكذا، وهو من أعظم الناس ردًّا لهذه الموضوعات.

[حدَّثنا نعيم بن حماد، عن ابن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن الحسين، أنَّ رجلاً من أهل العلم أخبره أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {تُمَدُّ الأرض يوم القيامة مدَّ الأديم، فأكون أول من أُدعى، فأخرُّ ساجداً، حتى يأذن الله لي برفع رأسي، فأرفع، ثم أقوم، وجبريل عن يمين الرحمن، لم يرَ الرحمن تبارك اسمه قبل ذلك}].

وهذا حديث مرسل. ماذا قال عندك؟

.....

طيب، من قوله: أنَّ رجلاً من أهل العلم أخبره.

[حدَّثنا موسى بن إسماعيل، (قال): حدَّثنا حماد يعني ابن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، قال: خطبنا ابن عباس على هذا المنبر بالبصرة، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما نبي إلا له دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر}، قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: {فيطول ذلك اليوم على الناس، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر، فليشفع لنا إلى ربنا}، وساق الحديث إلى قوله: {فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيفتح الباب، فآتي ربي وهو على كرسيه، أو على سريره، فيتجلى لي ربي، فأخرُّ له ساجداً}، وساق أبو سلمة الحديث بطوله إلى آخره].

أشار المحقق إلى ضعفه، ولكن لا ريب أنَّ فيه جمل متعددة قد ثبتت بالأحاديث الصحيحة، كقوله: {ما نبي إلا له دعوة تعجَّلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة}، وليس معنى ذلك أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع ربه، بل قد دعا ربه في مواطن كثيرة، ولكنه أراد بذلك دعوة عظيمة خاصة، فكثير من أنبياء الله أو جميع أنبياء الله تعجَّلوا دعوات عظيمة في الدنيا، والنبي صلى الله عليه وسلم خبَّأ هذه الدعوة العظيمة شفاعة لأمته يوم القيامة، وذلك أنَّه يشفع لأمته يوم القيامة، فيكون أول من يُقضى بينهم، حين يقول: {أمتي أمتي}، فلهذا قال: {نحن الآخرون الأولون يوم القيامة}.

ومن الجمل الثابتة قوله: {وأنا سيد ولد آدم ولا فخر}، لا شك أنَّ نبينا صلى الله عليه وسلم سيِّد ولد آدم، ولا أدلَّ على ذلك من حديث الشفاعة العظمى.

وقوله: {ولا فخر}، دليل على أنَّه لا حرج على الإنسان أن يذكر نعمة الله تعالى عليه، لا على سبيل المباهاة والتطاول، فلهذا أعقب كل جملة من هذه الجمل بقوله: {ولا فخر}، أي: أنَّ هذا محض فضل الله عليَّ، فيجوز للإنسان أن يذكر ما أنعم الله تعالى عليه بأن يقول: أنا أول كذا ولا فخر، أنا أول كذا ولا فخر، لا بأس بذلك، {وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر}، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر حديث الشفاعة بطوله، وكذلك أيضاً إتيانه صلى الله عليه وسلم باب الجنة، وقول الخازن: {من؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت ألا أفتح لأحد قبلك}، ولهذا عدَّ العلماء هذا من الشفاعات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة، فهذا مما اختص به دون من سواه.

وقوله: {فآتي ربي وهو على كرسيه}، ليس معنى ذلك أنَّ ربه في الجنة، لا، ليس بين هذا تلازم، لأنَّ هذا الإتيان لا يلزم منه أن يكون وقع داخل الجنة، فالله تعالى فوق جميع مخلوقاته، ولا يلزم من الإتيان أن يكون في موضع المحاذاة أو نحو ذلك، بل الله تعالى فوق جميع خلقه.

ثم قال: **[حدَّثنا عبد الغفار بن داود الحراني أبو صالح، (قال): حدَّثنا ابن لهيعة، عن أبي الزبير، قال: سألت جابراً رضي الله عنه عن الورود، فأخبرني أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {نحن يوم القيامة**

على كوم فوق الناس، فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، فيتبعونه}].

الله أكبر، تكرر هذا المعنى، والحديث في أصله صحيح كما أسلفنا من ثبوته في صحيح البخاري، وإنَّما بهذا الإسناد ضعيف بسبب ابن لهيعة رحمه الله، فإنَّه قد اختلط بأخرة، فقد احترقت كتبه فصار يحدِّث من حفظه فاختلط، لكن أصل الحديث ثابت بحمد الله.

وبهذا يتبيَّن لكم الفرق بين منهج السلف الكرام، وبين منهج الخلف من تعظيم السلف للنصوص، وإثباتهم ذات ربهم وأسمائه وصفاته كما أثبت لنفسه دون تكلُّف، بل بما يوافق النصوص ولا يكسرها ولا يعاسرها، بل يأخذ بها ويقبلها ويعمل بدلالتها، دون أن يلزم من ذلك أيُّ شائبة تمثيل، على هذا سار السلف رحمهم الله، فلذلك أثبتوا ربهم فوق سماواته، مستو على عرشه، بائن من خلقه، وأثبتوا له سبحانه وتعالى نزولاً يليق به، وأثبتوا أنَّه يُرى يوم القيامة كما تُرى الشمس، وكما يُرى القمر، لأنَّ النصوص نطقت بذلك، فلم يصطدموا بها، ولم يشقوا بها، وأما من التاثت عقولهم بالمقدمات العقلية فإنَّهم فسد عليهم دينهم، وخسروا هذه النصوص، وشقوا بتأويلها وتحريفها.

وسوف نتكلم إن شاء الله تعالى غداً عن بعض شبهاتهم العقلية والنقلية، ونتم إن شاء الله ما يتعلق بباب الرؤية.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.